

نافذة

الدولة تختار كوادرها

تشكلها فنتشكل منها، ويغدو الجميع تحت عباءتها، وتحمل إدارة شؤون مجتمعها وحركته، متناولة أوجه الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية كافة، وتختار أفرادها بعناية ودقة، وزارات وإدارات ومجالس ونواب ومحافظون، وتتدخل في بناء الجيش، عديده وعتاده، الذي يدافع عن سيادتها، والأمن وانضباطه الذي يؤدي فيها إلى تحقيق الأمان للجميع.

أدخل بهذا على الدولة التي تجري في حياة كل إنسان مؤطر بحمل هويتها، يستشعر فاعليتها في فكره وحركته وبنائه، التاريخ وثق أن الدولة تعني الملك أو الرئيس أو القائد، وجسدت نبينا بالفرعون والطاعة له، التي مثلت طاعة الله وإرادته التي أسكنها فيه، معتبرة إرادة من يقودها مصدراً لكل الأحداث التي تجري على بساط دولته، وبالتالي اعتبرها البعض وظيفة ربانية، والتعلق بالدولة إرادة إلهية، فسلطة الدولة تفرض مكافحة الخطيئة وإملاء النواقص وسد الثغرات وتأمين العدالة، وهذا بعد ذاته قرب البشرية من فهم الإله اللامادي والرئيس القائد للدولة وجهر قيامها بشكل صحيح، بعد أن كانت متعلقة بنظرية الطبيعة، وأنهم أبنائها، ويتعاملون معها، هذه التي خلقت الفوضى، وأدت إلى نمو العدائية بين الناس وتطور في الحياة، فكانت الدولة الضامن لوجودهم ووجودها، بعد أن يكون لها رأسها الذي يؤمن المصلحة العامة للجميع، من خلال توجيهه باختيار الأفضل والأئزده، العلمي والاجتماعي، ل مساعدته في إدارة شؤون الدولة.

هل تخدم الدولة بعد هيكلتها مصالح معينة، وبشكل أدق مصالح الطبقة التي تتضخم من خلالها سياسياً واقتصادياً؟ حيث نتحدث عن أنها الأفضل من أجل الحصول بشكل دائم على تأييد سلطتها، مبعدة بذلك الجميع عن المشاركة في إدارات الدولة أو الوصول حتى إلى أبوابها والمنظمن سياسياً ضمن إيديولوجيات حزبية، أم إنها وبحكم سلطاتها تحاسب وتراقب وتدقق، هل يخضعون للانتظار؟ أم يحق لهم فعلياً عبر برامج الانتخابات الوصول للمشاركة القيادية؟ أم إن نخبتها تمنع وصولهم قاطنة: إن سلوكها العملي هو الأفضل من حيث الخبرة التراكمية القادمة من وجودها المديد في الإدارة من باب المنطق؟

الفكرة تحمل بصمة، ولكن القادمين إلى الحياة كيف يكون حالهم، حركتهم، علمهم، وطنيتهم وأحلامهم واندفاعاتهم؟ هل تراقب الدولة مؤسساتها، وتحاسبها وتدفع بعجلة التطوير والتنمية إلى التقوى؟ وفي الوقت ذاته تراقب مكانم الخطأ، توجه لإصلاحها، وتحاسب المقصرين، فتقول: هذه ثوابت الدولة، لا يمكن أن تحيد عنها، وهنا يلعب القائد الرئيس دور التثبيد ومنح الفرض والإنصاف وتوليد الآمال والمحاسبة، فهو رأس الدولة وهي جسده، كما الهيكل رأس الكنيسة والحرب ووجهة المصلين، يتخلط الحزبيون إلى قديوتهم أميهم العلم، وحركة الدولة تظهر في تقويم وتقييم أنشطتها كافة القادمة من جهاز الدولة الرسمي والفاعلين على جغرافيتها، من اقتصاديين وحرفيين واجتماعيين، وما يدينون به على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم، فيظهر من الجميع شكل الدولة الواحدة الموحدة ذات السيادة، وبها ينمو شكل الدولة، ويتلاحم ويتعمق اتحادها بين مفاصله وفواصله ونقاطه.

هل نحن مثاليون أم طبعيون؟ فالثالثية تعزل نفسها عن واقعها، والطبيعة من اسمها تحمل ما تحمل من الصبح والخطأ، فالأول تحرم نفسها من حضورها ووجودها، لأنها تنصل عن واقعها، والثانية تتحاج إلى تهذيب وتشذيب عطائها، هاتان المسألتان تقودان إلى منطق الواقعية التي تجسد الشرف العملي للدولة، التي تتبذع العواطف، عملية شأن الحكمة التي منها يلد حكمها لشعبها، وهذا ما تسعى إليه الدولة، وتعلم شأنها، مانحة الموضوعية دوراً مهماً رغم عدم ادراك أبناء الدولة لقيمتي الواقعية الموضوعية، لأن جلّ أبنائها تائهون بين الدعوات إلى المثالية أو الانتهازية أو البغاء الإلاربي أو الجسني، وهنا أقول: إن الفرد الاجتماعي لا يبدل منه، وليس القصد تحقيق العدالة بالطلق، بل تطوير الفرد كي تتطور الدولة، فأبناء الدولة يطالبون دائماً بالفروق الخاسرة، وهنا تقوم الدولة بتحقيق معادلة التوازن أولاً، ومن ثم تحويلها إلى فروق رابحة، رغم أن التنظيم الحديث للدولة يظهر تناقضات بين الأعمال الخاصة والعامة، وهذا يستدعي ضبط أطراف المعادلة، التي يجب أن تنجز أخلاقاً عامة للدولة، وخاصة في الأفراد، كي يلتزموا بها، أي إن الدولة تأخذ على عاتقها تحديد أخلاق أبنائها وتوجيههم إلى عمليات التحديث وحداثة العالم، وأن يكونوا مع الحاضر والمستقبل ضد ماض خيالي في عودته، وتخلّقي في وجوده، ومادام رئيس الدولة مخلص على الإرهابيين والمتعدين، فعلى الجميع أيضاً الانتصار له من تحقيق النصر في مجالات التحديث والتطوير واختيار الأفضل الفاعل والعامل لمصلحة الدولة والمواطن، وتقديم الدعم الدائم لتعزيز هذه الروى، ما يؤدي إلى ديمومة الانتصار.

سمة الدولة تحقيق النهضة عبر حضورها ومنع انكسارها والسماح بانتشارها اقتصادياً وثقافياً، فهي تدرك في أدبيات قيامتها طبيعة موارد جغرافيتها، مع الانتباه والاستعداد لطامع الآخرين الدائمة، فأهمية الدولة أنها فوق الواقع الاجتماعي، وإلا لما استطاعت قراءته وإدارته، ومنه لا غير تأخذ بتربيتي تسلسل، ولابد للمجتمعات أن تتقبل درجاتها، وتعترف بها، شريطة نجاحها الوحيدة في ذلك أن تحقق مبدأ «المساواة في الاختلاف» والإيمان بالواقع، وحقيقة الطموح الإنساني أن هذا التفاوت في الدرجات يشعر بالفرق بين المواطنين على الدرجات أن هذا التدرج يشعرهم بأنهم أقل تساوي ممن يختارونه، هذا الذي إن لم ينتبه له يدفع إلى عدم الانضباط، ومن ثم السقوط الذي ينتظره الراغبون في الاعتداء على الدولة، فالدولة تحمل لواء الدفاع عن القيم والمبادئ والتوازن الاجتماعي والتساوي في الحقوق، إضافة إلى قيامها بعملية أكثر من دقيقة، تربط من خلالها القيم الحيوية أو الروحية بالقيم المادية، لأن الروحي يؤكد دائماً انحطاط الشأن المادي، وهذا ما يؤخر شأن أي دولة، ويقبل من انسجامها، فلا يمكن لأي دولة أن تعزز الجوهر من دون أن تهتم بالمظهر الذي يقول دائماً: «نعم للحياة» هذه التي تتعلق بها البشرية، وتتقبل بها كل الظروف، كل يعيشها بحسب قدراته، أو يقبول نفسي يحيا به مع الآخر رغم كل شيء.

الدولة يحكمها دستور يجسد آليات إدارتها لشعبها، ينبثق من سلطة تشريعية تحدد الاستحقاقات وتنظم العلاقة بين سلطاتها وشعبها، فتظهر كمسؤولة لا غنى عنها، بحكم وجودها التاريخي المستمر، تحمل المسؤوليات لجميع أبنائها، وأولى هذه المسؤوليات مؤسساتها التي تتبدل بأسباب الفشل، وتستمر بحكم النجاح، وتتواتر طبيعياً بأسباب الرحيل والبقاء أو التقاعد والإنهاء للحمام.

تعرضت الدولة لأقصى أنواع المتاعب والظروف، حملتها على أكتافها، شغب من بعض أبنائها، إرهاب زرع بين مفاصلها على جغرافيتها، واعتداءات سافرة من كل حذب وصبوب، تسع سنوات قالتت فيها كل شيء، هذه السنة نهائيتها، حكمة رأسها أوصلتها إلى معظم شواطئ الأمان، وإن بقي منها فهو تحصيل حاصل تتابعه بدقة مع إصرارها على متابعة بنائها، وكان بها تصحح كل ما خلفته بقوة وجرأة، معتمدة على أن بر أمانها تستصل إليه في العام القادم لا محالة، لذلك تصر على تفعيل استحقاقاتها بقيادة وإدارات خلاقة نوعية، تؤثر الوطن وهموم مواطنيه على ذاتها، مصممة على مكافحة مكامن الخلل والخطيئة أيضاً وجدت، رمزها قائدها، الذي وعد وسار بوعده رويداً رويداً— رغم كل ما حصل— إلى الأمام، لأنه يريد دولة فاعلة ناجحة ومتميزة، إرادته تتحقق لأنها إرادة شعبه.

د. نبيل طعمة

الأم في ذاكرة الشعراء والفلاسفة والمبدعين

توماس أديسون: أمي هي التي صنعتني لأنها كانت تحترمني وتثق بي



| وائل العدس

بريق في سماء الكون، إعجاز من الله، أقدس معاني الإنسانية وأعظم هبات الحياة.. قيثارة الدنيا واليآذة السماء، وملحمة الأرض، إنها الأم.. إن كانت الأم حياً فهي أجمله، وإن كانت عطاءً فهي أفضله، وإن كانت احتواءً فهي أكله، الأم هي الثوب الذي تلبسه فيمنحك الحياة بكل معانيها. الأم هي الكلمة التي تختصر كل شيء، فهي الملجأ والأمان، وهي المدرسة والمربية والطبيبة والصديقة، هي كل الحياة. ولأن الأم مثال التضحية والتقاني ورمز الحب والعطاء، فقد بقيت راسخة في ذاكرة الشعراء والأدباء والفلاسفة والمبدعين بمختلف مجالاتهم وعلى مر الأزمان.

ماما يا أنفاما

من أجمل أناشيد الطفولة التي كتبها الشاعر السوري سليمان العيسى، والتي تعد أول ما حفظته الأجيال السابقة في الصف الأول الابتدائي:

ماما ماما يا أنفاما
تملاً قلبي بندي الحب
أنت نشيدي عيدك عيدي
بسمه أمي
سر وجودي
أنا عصقور ما لأ دار
قبلة ماما ضوء نهاري
أفتح عيني
عند الفجر
فأرى ماما
تسبح شعري
أهوى ماما
أفدي ماما

خمسة رسائل إلى أمي

من أشهر القصائد وأكثرها رواجاً هي القصيدة التي كتبها الشاعر السوري نزار قباني ويقول فيها:
صباح الخير يا حلو..
صباح الخير يا قديستي الحلوه
مضى عامان يا أمي
على الولد الذي أبحر
برحلته الخرافية
وخياً في حفايته
صباح بلاده الأخضر
وأنجمها، وأنهرها، وكل شقيقها الأحمر
وخياً في ملايسه
طرابيضاً من النعناع والزعر
ولبلعة دمشقية..
أنا وحدي..
دخان سجائري يضجر
ومني مقعدي يضجر
وأحزاني عصافير..
تفتش—بعد— عن بيبر
عرفت نساء أوروبا..
عرفت عواطف الإسمنت والخشب
عرفت حضارة التبغ..
وطفت الهند، طفت السند، طفت العالم الأصفر
ولم أعثر..
على امرأة تمسح شعري الأشقر
وتحمل في حقيبتها..
إلى عرائش السكر
وتكسوي إذا أعرى
وتشملني إذا أعرى
أيأ أمي..
أيأ أمي..
أنا الولد الذي أبحر
ولا زالت بخاطره
تعيش عروسه السكر
فكيف.. وكيف يا أمي
غدوت أباً..

ولم أكبر؟
صباح الخير من مدريد
ما أخبارها الفلقة؟
بها أوصيك يا أماه..
تلك الطفلة الطفه
فقد كانت أحب حبيبة لأبي..
يدلها كطفلته
ويدعوها إلى فنجان قهوته
ويسقيها..
ويطعمها..
ويغمرها برحمته..
ومات أبي
ولا زالت تعيش بحلم عودته
وتبث عنه في أرجاء غرفته
وتسال عن عباةته..
وتسال عن جريدته..
وتسال—حين يأتي الصيف—
عن فيروز عينيه..
لتنثر فوق قفنيه..
دنائيراً من الذهب..
سلامات..
سلامات..
إلى بيت سقانا الحب والرحمة
إلى أزهارك البيضاء.. فرحة «ساحة النجمة»
إلى تختي..
إلى كتبي..
إلى أطفال حارتنا..
وحيطان ملأناها..
بفوضى من كتابتنا..
إلى قسط كسولات
تنام على مشارفتنا
ولبلعة معرشة
على شباك جارّتنا
مضى عامان.. يا أمي
ووجه دمشق،
عصفور يخربش في جوانحنا
يعض على سنائرتنا..
ويقرنا..
بريق من أصابعنا..

مضى عامان يا أمي

ليل دمشق
قل دمشق
دور دمشق
تسكن في خواطرننا
مأذنها.. نضيء على مراكبنا
كأن مأذن الأموي..
قد زرعت بداخلنا..
كأن مشائل النجاج..
تعيق في ضماثرنا
كأن الضوء، والأحجار
جاءت كلها معنا..
أتى أيلول يا أماه..

وجاء الحزن يحمل في هداياه
ويترك عند نافذتي
مدامعه وشكواه

أتى أيلول.. أين دمشق؟
أين أبي وعيانه
وأين حريز نظرته؟
وأين عبير قبهوته؟
وسقى الرحمن مواء..
وأين رحاب منزلنا الكبير..
وأين نعماه؟
وأين مدارج المشمش..
وتضحك في زواياه
وأين طفولتي فيه؟
أجرجر ذيل قملته
وأكل من عريشته
دمشق، دمشق..
شاعراً

على حدقات أعيننا كتبناه
ويا طفلاً جميلاً..
وقصبت بعض الحق من حقيهما
جنونا عند كيبته..
وذينا في محبته
إلى أن في محبتنا قتلناه...

قصيدتان للمعري

وكتب الشاعر العباسي أبو العلاء المعري العديد من القصائد عن الأم ومنها:
واعط أباك النصف حياً وميتاً
وقفل عليه من كرامتها الأما
أفك حفاً إذا أفلتت مقللاً
وأرضعت الحولين واحتملت تما
والفتك عن جبه والقال لذة
وضمّت وشمّت ملثماً ضمّ أو شماً

وكتب أيضاً:
العيش ماضٍ فآكرم والديك به
والأمّ أولى بآكرام وإحسان
وحسبها الحمل والإرضاع تدمنه
أمران بالفضل نالا كل إنسان

حق الإكرام

وكتب الشاعر العراقي معروف الرصافي عن الأم:

إنني أمي أحق بالإكرام
حملتني تقلاً ومن بعد حملي
أرضعتني إلى أوام فطامي
ورعتني في ظلمة الليل حتى
تركت نومها لأجل منامي
إن أمي هي التي خلقتني
بعد ربي فصرت بعض الأنام
فلها الحمد بعد حمدي إليهي
ولها الشكر في مدى الأيام

خيز أمي

من أجمل القصائد التي كتبها الشاعر الفلسطيني محمود درويش عن الأم قصيدة «أحن إلى خيز أمي» والتي تقول:
أحن إلى خيز أمي
وأقوه أمي
وليسة أمي
وتكبر في الطفولة
يوماً على صدر يوم
وأعشق عمري لأنني
إذا مت
أخجل من دمع أمي..
خذي،ني، إذا عدت يوماً
وشاحاً لهديك
وعظي عظامي بعشب
تعدد من طهر عبك
وشذي وناقبي..
بخصلة شعر
بخيط يلوح في ذيل ثوبك
عساي أصير إليها

إليها أصير

إذا ما لمست قرارة قلبك
شعيني، إذا ما رجعت
وقوداً بتنور نارك
وحبل غسيل على سطح دارك
لأنني فقدت الوقوف
دون صلاة نهارك
هرمت، فردني نجوم الطفولة
حتى أشارك
صغار العصافير
درب الرجوع..
لعش انتظارك

قصيدة الأم

ويقول العالم والأديب العباسي ابن الجوزي في قصيدته عن الأم:

زر والديك وقف على قبريها
فكأنني بك قد نقلت إليهما
لو كنت حيث هما وكانا بالبقا
زاراك حيوياً لا على قديمها

ما كان ذنبهما إليك فطاماً
منحاك نفس الود من نفسيهما
كانا إذا سمعا أنتيك أسبلاً
دمعيهما أسفاً على خديهما
وتمنيا لو صادفاك راحةً
بجمع ما يحويه ملك يديهما
فنسيت حقهما عشيّة أسكتنا
تحت الثرى وسكنت في داريهما
فلتلققتهما غداً أو بعده
دمشق، دمشق..
شاعراً
نما هما ندماً على فعليهما
بشراك لو قدمت فعلاً صالحاً
وقصبت بعض الحق من حقيهما
وقرأت من أي الكتاب بقدر ما
تستطيعه وبعثت ذاك إليهما
فعسى تتال الفوز من برّيهما

الأم مدرسة

ومن قصائد الشاعر المصري حافظ إبراهيم عن الأم:
الأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعباً طيب الأعراق
الأم روضاً أنت تعدده الحيا
بالري أوريق إيما إيرياق
الأم أستاذة الأساتذة الأبي
شغلت مآثرهم مدى الأفاق

الأم والطفلة الصّاعقة

من أجمل القصائد التي كتبها الشاعر العراقي بدر شاكر السياب عن الأم:
قفي لا تغربي يا شمس ما يأتي مع الليل
سوى الموتى فمن ذا يرجع الغائب لأهل
إذا ما سدت الظلماء
درويا أضمرت بالبيت بعد تطاول المحل؟
وإن الليل ترجف أكبد الأطفال من أشباحه السوداء
من الشهب اللوامح فيه مما لاذ بالظلل
من الهمسات والأصداء
شعاعه مثل خيط للابريث يشده الحب
إلى قلب ابنتي من بات داري من جراحاتي
وأهاتي
مضى أزل من الأعوام آلاف من الأعمار والقلب
يعد خوافق الأنسام بحسب أنجم الليل
يعد حقايق الأطفال يبكي كلما عادوا
من الكتاب والحقل
ويا مصباح قلبي يا عزائي في الملمات
مضى روعي، ابنتي عودي إلي فما هو الزاد
وهذا الماء جوعي؟ هاك من لحمي
طعاماً أه عطشي أنت يا أمي
فعبني من دمي ماء وعودي كلهم عادوا
كانت برسفون تخطفها قبضة الوحش
وكانت أمها الولهي أقل ضنى وأوهاماً
في الأم التي لم تدبر أين مضيت
في نعش
على جبل؟ بكيت؟ ضحكت؟ هبّ الوحش أم ناما
وحين تموت نار الليل حين يعسوس الوسن
على الأجانف حين يفتش القصاص في النار
ليلمح من سفينة سندان ذواب الصاري
ويخفت صوته لوهم

يجن دمي إليك بجن بعصريني أسى ضار
مضت عشر من السنوات عشرة أدره سود
مضى أزل من السنوات منذ وقتت في الباب
أنادي لا يرد علي إلا الريح في الغاب
تمزق صحتي وتعيدها والدرج مسدود
بما تنفض الظلماء من سمر وأعنان
وأنت كما يذوب النور في دوامة الليل

كيف.. كيف يا أمي غدوت أباً.. ولم أكبر؟

كأنك قطرة الطل
تشربها التراب أكاد من فراق وأوصاب
أسائل كل ما في الليل من شبح ومن ظل
أسائل كل ما طفل
أبصرت ابنتي؟ أرايتها؟ سمعت مشاهما؟

الأم تلتئم طفلها

وتذكر أبيات هذه القصيدة والتي كتبها الشاعر التونسي أبو قاسم الشابي:

الأم تلتئم طفلها، وتضمه
حرم، سماوي الجمال، مقدس
تتأله الأفكار، وهي جواره
وتعود طامرة هناك الأنفس
حرم الحياة بطهرها وحناها
هل فوقه حرمٌ أجل وأقدس؟
بوركت يا حرم الأمومة والصبا
كم فيك تكتمل الحياة وتقدس

أقوال العظماء

وخط الكثير من الفلاسفة والأدباء والمبدعين في مجالات عدة بأقوال عن الأم تعبر عن مدى قيمتها التي لا يمكن مضاهاتها بشيء في الحياة:
الفنان السوري فريد الأطرش: ابنتي ومنذ استمعت إلى غناها وعزف أمي وأنا أسبح في هذا البحر الكبير كقطرة.
الفيلسوف اليوناني سقراط: لم أطمئن قط إلا وأنا في حجر أمي.

الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو: لو كان العالم في كفة وأمي في كفة لاخترت أمي.
الأديب الفرنسي فيكتور هوغو: إذا صغر العالم كله فالأم تبقى كبيرة.
الموسيقي الألماني بيتهوفن: إن أرق الألحان وأعذب الأنغام لا يعزفها إلا قلب الأم.
الكاتب والممثل الإنكليزي وليم شكسبير: ليس في العالم وسادة أنعم من حضن الأم.
الكاتب الروسي أنطون تشيخوف: لا يستحق أي شخص في هذا العالم الكريه محبتنا أكثر من أمهاتنا.

الشاعر المصري أحمد شوقي: أمي وإن طال الحديث بها فلا شعر يوفيها ولا الأقلام.
الروائي الكولومبي غابرييل غارسيا ماركيز: الأم كالعمر لا تكرر مرتين.
المفكر الروسي ليو تولستوي: الزوجة اللصيقة الجيدة، والحماة للاستقبال الجيد، لكن لاشيء يضاهي حلاوة الأم.
الروائية التشيلية إيزابيل ليندي: الأم والوطن لا يمكن المزاج فيهما، إنهما مقدسان.

الأديب المصري محمد علي كلاي: كل القلوب يغيرها واحدة هي.. قلب الأم.
الروائي الفرنسي جول فيرن: إن وطن الفرد الأم هو حيث يجب أن يعيش ويموت المرء.
الملاحم الأميركي محمد علي كلاي: كل القلوب يغيرها الوقت، الا قلب الأم جثة دافئة.
الشاعر الإنكليزي صامويل كولريديج: الأم هي الأم، هي أكثر الأشياء قدسية على قيد الحياة.

الشاعرة الأميركية إيمييلي ديكنسون: الأم هي الشخص الذي تسرع إليه عندما تكون في ورطة.
الفيلسوف الفرنسي فولتير: حجر الأم هو المكان الأيمن الذي تستطيع أن تسند إليه رأسك وأنت مرتاح مطمئن.

الروائي الجزائري واسيني الأعرج: الأم حنان لا يعوض، يبدو لي أحياناً أننا عندما نحب فنحن نبحت في الوجود الأخرى عن الأم، أم أكثر جرأة، قادرة على الذهاب بحبيها إلى أقصى الحدود ضاربة عرض الحائط بكل الموانع.
الكاتب الفرنسي أونوريه دي بلزاك: الرجال من صنعهم أمهاتهم.
الكاتبة الأميركية هاربيت ستاو: الرب يعطينا كثيراً من الأشياء مرتين بل مراتٍ عديدة، لكنه لا يعطينا إلا مرة واحدة.
الشاعر الإنكليزي لورد بايرون: عينا الأم سر إلهام ولدها.
الروائي الفرنسي مارسيل بروست: كزني الحقيقي هو أمي.
الكاتب الفرنسي البير كامو: أنا أؤمن بالعدل، ولكني سادافع عن أمي قبل العدل.
المخترع الأميركي توماس أديسون: أمي هي التي صنعتني، لأنها كانت تحترمني وتثق بي.